2 تطور الفكـــــــر الاقتصادي

ارتبطت اهمية دراسة الفكر الاقتصادي وتاريخه مع نوعية وطبيعة آراء المفكرين الاقتصاديين، مما ادى لانقسامهم الى عدة مجموعات، فترى مجموعة منهم أنه لا حاجة للاهتمام بدراسة الفكر الاقتصادي وتاريخه، لأنه يحتوي على العديد من الاخطاء، بينما ترى مجموعة أخرى أنه لا يمكن فهم علم الاقتصاد إلا من خلال دراسة تاريخه.

أ/ الفكر الاقتصادي في العصور القديمة

يعتبر الفكر الاقتصادي مجموعة من الآراء والانطباعات التي تتعلق بالوقائع التي عايشها المجتمع في مرحلة زمنية معينة، وهي أفكار ايديولوجية لا علاقة لها بالتحليل العلمي، وعليه يكون من الافضل اعتبارها من قبيل المعلومات الخاصة بما كان عليه الوضع في تلك الازمنة.

أ.1/ الفكر الاقتصادي اليوناني:

لقد تناول بعض الفلاسفة اليونانيون بدراسة بعض المشكلات الاقتصادية رغم انها كانت افكار محدودة وسطحية، بحيث لم تصل الى وضع معايير وقواعد تفصل الدراسات الاقتصادية عن غيرها من انواع الدراسات، فالاقتصاد في الفكر الإغريقي دراسة تابعة ومحدودة، وهذا يعود للسببين التاليين:

- السبب الاول يتمثل في ان بحث الفلاسفة للدراسات الاقتصادية في العصر اليوناني، جاءت مرتبطة بابحاثهم في السياسية والفلسفة والاخلاق.

- أما بالنسبة للسبب الثاني فقد ارتبطت مسألة العمل والانتاج في عرف اليونانيين بالعبودية والرق، ومن هنا تولد لديهم نوع من الاحتقار للعمل والنشاط الاقتصادي بصفة عامة.

فالدراسات اليونانية كانت قليلة بل ضئيلة، والدراسات الاقتصادية على بساطتها اقتصرت فقط على الفيلسوفين الاغريقيين افلاطون وأرسطو، الذين وضعا الأسس الأولى في إرساء دعائم الفكر الاقتصادي الحديث.

أ.2/ الفكر الاقتصادي الروماني:

لم يكن لدى الرومان نفس الميول الفلسفية التي كانت لدى الاغريق ولذلك لم يخلفوا وراءهم تراثا فكريا، يمكن ان نستخلص منه افكارا اقتصادية متميزة، رغم وجود بعض الاراء الاقتصادية التي نُسبت لبعض الحكماء لكنها في الحقيقة لم تكن الا امتدادا وتأثرا بالاراء اليونانية السابقة، ومن أمثالهم نجد **شيشرون** (سياسي وأديب روماني 106 _43ق.م) الذي كان يفضل الزراعة على المهن الاخرى كالصناعة والتجارة اذ جعلها أولوية، لن الزراعة بحسبه تعتبر هي القطاع الاساسي الذي يسد حاجة المجتمع ومتطلباته الاساسية.

كذلك تعرض شيشرون الى مسألة الفائدة عن الفرض وهاجمها بشدة كما فعل ارسطو من قبل، بل اعتبر الفائدة عن القرض نوع من الشجع بل يعتبر كما انه كجريمة قتل النفس البشرية.

لكن امام كثرة المعاملات الاقتصادية بين الرومان بعضهم ببعض، كانوا يخضعونها لما يسمى بالقانون المدني،وكان تطبيق هذا القانون مقتصرا على الرومان وحدهم، ولا يشمل الاجانب، ولكن مع كثرة التجارة مع الاجانب دعت الضرورة الى ايجاد القانون الذي ينطبق عليهم وهو قانون الشعوب، كذلك فتح القانون الروماني المجال امام بعض الافكار المتأثرة بالمذهب الفردي، كحق كل شخص في ان يعقد ما يشاء من العقود مع الغير وحق كل شخص في ملكية ما يشاء من الاموال.

ب/ الفكر الاقتصادي في العصور الوسطى

مرحلة العصور الوسطى هو ذلك الاطار الزمني الذي يبدأ منذ سقوط الامبراطورية الرومانية في يد القبائل الجرمانية التي احتلت روما، وتستمر الى غاية سقوط القسطنطينية على يد العثمانيين.

ب.1/ الفكر الاقتصادي في اوروبا:

يعتبر النظام الاقطاعي هو النظام الاقتصادي الذي كان سائدا في المجتمع الاوروبي ذلك الوقت، وتعود نشأة هذا النظام الى ما حدث من تطورات سياسية في اعقاب سقوط روما عى يد القبائل الجرمانية، وتتمثل هذه التطورات السياسية في زوال الحكومة المركزية وتنصيب قادة الجيش حكاما على اقاليم الامبراطورية.

وتعتبر الزراعة النشاط الرئيسي في الاقتصاد الاقطاعي، وتشكل كل اقطاعية وحدة اقتصادية مستقلة ومنفصلة عن الاقطاعيات الأخرى وتقوم كل منها على اساس الاكتفاء الذاتي، وكانت اغلب المبادلات التجارية عينية دون حاجة الى استخدام النقود.

ب.2/ الفكر الاقتصادي الكنسي

في هذه الفترة كانت الكنيسة هي المسيطرة، ولكن لم يكن لمفكري هذه المرحلة الزمنية وعلى وجه التحديد "رجال الدين" أي تحليل اقتصادي، ولكن كان لديهم بعض الافكار الاقتصادية التي لها علاقة بالظروف والاوضاع السائدة في عصرهم، ومن بينهم توماس الأكويني (1225-1274) وهو راهب وفيلسوف ومفكر اقتصادي ايطالي، ومن جملة أفكاره، انه بحث مشكلة مشروعية الملكية الفردية،وأخذ بما ذهب اليه ارسطو في الفكرتين التاليتين:

- يرى ان الملكبة الخاصة افضل النظم من حيث ان عناية الفرد بالاموال عندما يكون مالكا لها اكثر من عنايته بها، اذا لم يكن هو مالكا لها.

- ونادى ايضا ان حق الملكية الخاصة ليس حقا مطلقا كما اورده القانون الروماني ذلك أن الملك عليه ان يستخدم ملكيته للصالح العام.

اما بالنسبة لمسألة القرض بفائدة استقر الرأي السائد لديهم على تحريم القرض بفائدة، ولذا فإن استرداد ثمن القرض أمر مشروع ولكن الفائدة عن القرض غير مشروعة وغير جائزة إطلاقا.

ب.3/ الفكر الاقتصادي الاسلامي

جاء الاسلام بأصول عامة وثابتة، وصالحة لكل مجتمع في كل زمان ومكان، وعلى هذا الاساس نجد بأن الفكر الاقتصادي الاسلامي لا يقوم على تحليل علمي يجعل من البحث الاقتصادي علما مستقلا بذاته فالمفكرون الاسلاميون لم يصلوا الى فصل الدراسات الاقتصادية عن غيرها من انواع الدراسات بل كانت جميع الدراسات خاضعة لاعتبارات دينية وممزوجة بالدراسات الاخرى كالفقه والفلسفة والتاريخ، ولا شك ان الجوانب التي تتعلق بالجانب الاقتصادي والتي اتخذ فيها الدين الاسلامي موقفا معينا، والتي يمكن اجمالها فيما يلي:

-الملكية: اعترف الاسلام بالملكية الفردية ونتج عن ذلك اقرار الاسلام التفاوت بين الارزاق، اذ يقول الله تعالى في محكم تنزيله "والله فضل بعضكم على بعض في الرزق"

-العمل: لم يميز الاسلام بين انواع العمل، فهي كلها سواء من حيث اهميتها للحياة الاقتصادية، حيث غير من المفاهيم الموروثة التي تحصر العمل اليدوي على فئة العبيد والفقراء والمستضعفين

-الرق: ابقى الاسلام على نظام الرق من ناحية، لكنه فتح ابوابا عديدة لانهائه والنظر اليه نظرة انسانية من ناحية اخرى، ومن هنا فقد اتخذ الاسلام في هذا الشأن حلولا بالنسبة لهم وهي: **1** معالمتهم معاملة حسنة

2 حبب الى المالك عتق الرقيق وجعله كفارة عن الاثام والذنوب

-القرض بفائدة: اما القرض بفائدة (الربا) فقد حرمه الاسلام وجعله من اكبر الاعمال غير المشروعة موضحا ان الربا تحريمه في الاسلام ليس قاصرا فقط على اقتراض النقود بفائدة، بل انه يمتد الى انواع اخرى من المعاملات، كمبادلة سلعة بسلعة من نفس النوع ولكن بكمية اكبر وهو ما يطلق عليه بربا الفضل.

-الاحتكار: لقد نهى الاسلام عن الاحتكار كونه يؤدي الى قتل المنافسة الحرة الشريفة بين الافراد والدول.